انهاض الصناعات

وأثره فى حياتنا الاجتماعية

لحضرة صاحب السعادة الأستاذ ابراهيم عبد الهادى بك

وزير التجارة والصناعة السابق

الحياة العادية ترتب نفسها وتنظم طرائقها وتهيئ أسبابها. فهذا بلد توافرت لديه المعادن ومواد الوقود، فتوافرت له بذلك أسباب الصناعة، فانصرف همه الى الإنتاج الصناعى، واستغنى أبناؤه بأجر الصناعة وربحها الوفير عن الاشتغال باستنبات الأرض على أن يشتروا غذاءهم من بلاد أخرى آثرتها الطبيعة بجودة المناخ وخصب التربة فانقطعت للزراعة. وهكذا جرى الاختصاص على أساس توزيع الهبات الطبيعية بين الأقطار المختلفة، فأعدت كل بلاد نفسها للنظم التجارية والمالية التى تناسب تسيير حاصلاتها وتيسير رواجها وحسن تداولها، وعرف كل قطر من الأقطار عملاءه فى نواحى المعمورة، ونشطت حركة النقل خصوصا بالبحر لأداء رسالة الاقتصاد والتداول بين جميع البلدان.

وفى ظلال السلم نمت فكرة التخصص فى الانتاج، وفى كنفه سهلت المواصلات الى حد ربط أطراف المعمورة المتباعدة رباطا يشبه رباط الجوار فلم يبق بلد يخشى المجاعة لأن ما يحتاج اليه من غذاء أو صناعة تبعد عنه منابته أو مصادره.

ولكن دوام السلم على ما فيه من خير أمر تأباه طبيعة تنازع البقاء، والحرب على ما تحمل من آلام وويلات تضم فى طياتها نذرا وعبرا لمن أحسن فهمها ووفق للانتفاع بها، ولم تعد الحرب قاصرة على قراع بين جيوش صفت للقتال وأعدت للنزال، ولكنها صارت فوق ذلك ضغط أمم وشعوب على أمم وشعوب، كل فريق يعمل على إزهاق قوى الإنتاج فى الفريق الآخر ليضعفها أو يأتى عليها إن استطاع، ثم ليسد المنافذ على ما ينتجه هذا الآخر حتى لا يجد من يبيعه فلا يجد ما يشترى به، ثم يقطع عنه طريق الورود فلا يستطيع أن يستكمل ضرورياته من منتجات بلاد أخرى اعتاد الاعتماد عليها. هذه هى الحرب الحديثة: فتك بقوى الجيوش وفتك بقوى الإنتاج فى وقت واحد.

ولقد جاءتنا الحرب السابقة بهذه النذر ولم تكن المواصلات العالمية قد تعرضت لما تعرضت له فى الحرب الحالية من تعطيل بفعل سلاح الطيران ، فأحسنت مصر الاستماع والاصغاء، وانتبهت للعمل على ستحاجاتها بإقامة الصناعات ، وثابرت بعد انتهاء الحرب الماضية على تنمية هذه الصناعات وترقيتها. ولا شك أن جهود بنك مصر فى هذا السبيل قد أتت بخير كبير، وأصبحنا ومصر فى هذه الحرب تجد أغلب لباسها مصنوعا داخل حدودها بأيدمصرية. وتقدمت صناعة الأثاث والجلود لدرجة الكفاية تقريبا ، ونشطت صناعات أخرى وتخطت عوائق التجارب الأولى وهى تسير الآن فى طريقها الى الاستقرار والكمال ؛ ولولا اختلاف ظروف البحرين الأبيض المتوسط والأحمر فى هذه الحرب عنها فى الحرب الماضية لشعرت البلاد بفارق أكبر بين حاجاتها الى الخارج اليوم وحاجاتها اليه فى سنى الحرب الماضية .

نحن الآن نتدرج فى التقدم الصناعى بفضل الحرب الماضية ؛ ولكن جهود العقل نحو زيادة وسائل الحصر والحرمان قد جاءت بجديد ظاهر الأثر ، فوجب أن تضاعف البلاد جهودها فى سبيل النهضة الصناعية لتكون أكثر استغناء وأشد منعة على الخطوب والكوارث. فعلى كل صانع أن يبلغ بإنتاجه أقصاه ليحتل سوق البلاد بمنتجاته وليتعود مواطنوه الاقبال على بضاعته . وعلى كل متعلم متصل بفرع من فروع الصناعة أن يوجه علمه الى ميدان العمل لينتج من الثروة جديدا أو يحسّن قديما أو ينمى صغيرا. هذه فرص الحياة السانحة التى لا تعوض، فلننتهزها واثقين من المستقبل متحققين من النجاح. ولقد أدركت الحكومات المصرية المتعاقبة ما يجب عليها نحو البلاد قبل أن تقع الحرب فبذلت أقصى ما يستطاع لتشجيع المستوردين على مضاعفة نشاطهم فى تخزين حاجات الزراعة والصناعة الأساسية كالسماد ومواد الوقود، فواجهت مصر الحرب باستعداد سمح لعوامل الانتاج المحلى بالاستمرار ، ووقاها شر الاضطراب المفاجئ فى الأسعار ، كما سمح لكلّ أن يجد الفرصة لتعديل وسائله مع استدامة الحركة واطراد العمل .

ولكن مهما يكن من أمر الاكتفاء بالمخزون فان هذا الاكتفاء موقوت بأجل إن لم نكن بلغناه اليوم فلسوف نبلغه قريبا ، وقبل أن نبلغه يجب أن نستعد له ، فما يتعذر وجوده مع استمرار الحرب المجهولة الأجل يجب أن نهيئ من الآن مايحل محله .

خذ مثلا الأسمدة الكيماوية وقد نجحت الحكومة فى توفير حاجة البلاد منها فى العام المنصرم ولا يزال بالبلاد منها ما يكفيها لعام آخر ، فقد وجب على كل زارع أن يضاعف عنايته بتوفير الأسمدة البلدية على اختلاف أنواعها حتى اذا استطالت أيام الحرب وجدنا فى سمادنا غناء عما كنا نستورد ، واستمرت مصر قادرة على إنتاج المقادير التى اعتادت إنتاجها من المحاصيل المختلفة قطنا وأرزا وقمحا وسواها ، وتمكنت من كسب أسواق خارجية لحاصلاتها فوق احتفاظها بما أبقته الحرب لها من أسواق .

ومثل آخر نضربه فى مواد الوقود: فواجبنا حيالها أن نوفر من استهلاكها جهد الطاقة وأن نستبدل بالفحم الوقود السائل والكسب ما استطعنا ، ولنقلل مما نستهلك من الكيروسين فى المصورات بتقصير مواعيد السهر ، وليقم كل مواطن من نفسه حكومة على نفسه ورقيبا على هواه، وليستمتع قلبه بأنه بوازع من وطنيته يدخر من متاعه لإمتاع وطنه وتقوية اقتصاده .

لا يمتز بحكومة يوم أسعد من هذا الذى يتوافر فيه للشعب كل كمالى وكل أساسى من شؤون حياته اذا كان من شأن هذا أن يجعل سعادة البلاد ورفاهيتها ممدودة موصولة ، وليس أشقى من حكومة ولا من شعب ينغمس فى الاستمتاع بعاجل ما لديه من نعمة ثم يرتكس بعد ذلك فى ألم العجز والحرمان .

والخير كله فى الوسط فى الأمر والاحتياط للزمن وتقبل ما يقضى به الوقت بحسن التصرف وسلامة التوجيه ، حتى إذا انقشعت سحب الحرب وآلامها وعادت الأمم إلى المباراة فى التعمير ، وجدنا أداة حياتنا الاقتصادية سليمة عامرة وعاملة قادرة ، و يومئذ يستطيع كل بلد أحسن التصرف أن يستغل الموقف وأن يجنى شهى الثمرات .

نحن بلد زراعى إلا تكن زراعتنا منبتا للكسب العريض والثروات الكبرى إذا قيست بأرباح الصناعة ، ففيها على تواضع رزقها أمن من المجاعات الفتاكة التى تحل بالبلاد الصناعية إذا حصرت . وصعوباتنا فى التموين محدودة بصعوبات الواردات الأجنبية الضرورية ، أما تموينا الداخلى فلا يعدو توزيع خيراتنا المحلية من أحد جوانب القطر إلى جانب آخر زيادة فى الاحتياط والتحرز ودفعا لشرور الطمع التى تثور فى بعض النفوس فتحاول استغلال الشدائد لجنى الأرباح . . .فنحن دائما بفضل الزراعة فى أمن من الجوع، وسنكون إن شاء الله فى أمن من متاعب الواردات الأجنبية التى نراها اليوم ضرورية إذا عرفنا كيف نستفيد من هذه الحرب كما استفدنا من سالفتها فى تنمية صناعتنا، و إذا تدبرنا استخدام كل ما تنتجه مصر بدلا من منتجات الخارج . ثم إذا نحن ضاعفنا كل نوع من أنواع الانتاج لنبيع للغير كل ما يفيض منا .

الحكومة ساهرة لا تنام عن راحة الشعب فقيره وغنيه ، واقفة بالمرصاد للطامعين ونهازى الفرص المحرمة ، لا تنى عن أخذهم بغير رحمة ولا هوادة ، لأنهم يسمحون لأنفسهم أن يستغلوا ضيق الشعب وأن يجعلوا شدة الأيام مجيا لا يطاق ، وهو عمل خال من الرحمة بعيد عن الرفق ، مناف للمروءة والكرامة الانسانية . ولكن الحكومة فى نفس الوقت تعتمد كل اعتمادها على حساسية الشعب المصرى وكرم شعوره وفيض انسانيته ومتوارث تقاليده وعاداته فى الإيثار وكرم النفس والمبادرة للتعاون وجمع الشمل عند كل صعوبة تقع بفرد فيه

أو جماعة منه، أو تقع بالبلاد كلها ، ولذلك فهو قد استجاب لندائها فى كل ظرف بل قل استجاب لما يتردد فى ضميره من حب الخير والانصاف و بغض الشره والاستزاف . ولا نزال جميعا نذكر شدائد الحرب الماضية وآثارها وقسوتها على المواطنين، فلنتمثل شدائد الماضى لنحسن علاجها ، ولنتق بها مخاطر المحنة التى تمر بنا علنا نخرج منها سالمين . وليكن شعارنا اتقان الصناعة وتميتها، واستغلال خيرات البلاد والاستغناء عن الخارج جهد الطاقة بمنتجاتها المحلية، ومضاعفة العمل لزيادة الانتاج ، والتضامن والتراحم بين الهيئات المختلفة ، حتى نخرج من الحرب كتلة واحدة قد ربطت المحبة بيننا جميعا بأوثق رباط، فلا حقد ولا كراهة ولا استزاف — بل محبة ورحمة وشعورا بالعدل والإخاء .

و إن قليلا من التناسى للكماليات، والمعاونة لأولى الأمر، والصدق فى كل ما يطلبونه من بيانات ، لكفيل بأن يضمن لنا النجاح والنظام والسلامة .

هذا وقت الواجب العام فليساهم كل بنصيبه جل أو صغر ، وليتقدم كل لحمل التبعات مهما تكن الصعاب ، ولا يفرن أحد من مواجهة الموقف وتيسيره، فإنه لا يفر من الشدة صادق القلب ، ولا يهرب من حمل التبعات مؤمن بحق الوطن ، والله يهب لنا جميعا توفيقه و يسدد خطانا على طريق الواجب لنخرج بمصر من مأزق الحرب لم تعوّق من تقدمها ، ولم تقصّر من خطى نهضتها .

ابراهيم عبد الهادى

من فكاهات أدباء العرب

ذهب ابن هرمة الشاعر مع بعض الرفاق ليتغدوا عند صديق على غير موعد ، فأبطأ صاحب الدار فى تقديم الطعام اليهم حتى أذنت صلاة العصر وكانت تبدو عليه أمارات الحيرة والارتباك ، فقال ابن هرمة :

يا ذاهبا فى داره جائيا بغير معنى ولا فائدة
قد جنّ أضيافك من جوعهم فاقرأ عليهم سورة المائدة